ورعا جيد المباشرة وكان قد ولي الحكم في سنة سبع وخمسين وستمائة فلما ولى ابن صصرى كره نيابته وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجديد توقيع القاضي شمس الدين الأزرعي الحنفي فظن الناس انه بولاية القضاء لابن الحر يرى فذهبوا ليهنئوه مع البريد إلى الظاهرية واجتمع الناس لقراءة التقليد على العادة فشرع الشيخ علم الدين البرزالي في قراءته فلما وصل إلى الاسم تبين له أنه ليس له وأنه للأزرعي فبطل القارئ وقام الناس مع البريدي إلى الأزرعي وحصلت كسرة وخمدة على الحريري والحضارين ووصل مع البريدي أيضا كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى القاهرة فتوهم من ذلك وخاف أصحابه عليه سبب انتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فتلطف به نائب السلطنة ودارى عنه حتى اعفى من الحضور إلى مصر و الحمد .

وفي يوم الخميس تاسع جمادي الأولى دخل الشيخ ابن براق إلى دمشق وبصحبته مائة فقير كلهم محلقي ذقونهم موفري شواربهم عكس ما وردت به السنة على رؤسهم قرون لبابيد ومعه أجراس وكعاب وجوا كين خشب فنزلوا بالمنيبع وحضروا الجمعة برواق الحنابلة ثم توجهوا نحو القدس فزاروا ثم استأذنوا في الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم فعادوا إلى دمشق فصاموا بها رمضان ثم انشمروا راجعين إلى بلاد الشرق إذ لم يجدوا بدمشق قبولا وقد كان شيخهم براق روميا من بعض قرى دوقات من أبناء الاربعين وقد كانت له منزلة عند قازان ومكانه وذلك أنه سلط عليه نمرا فزجره فهرب منه وتركه فحظى عنده وأعطاه في يوم واحد ثلاثين ألفا ففرقها كلها فأحبه ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاة ومن ترك صلاة ضربوه أربعين جلدة وكان يزعم ان طريقه الذي سلكه إنما سلكه ليخرب على نفسه ويرى أنه زي المسخرة وان هذا هو الذي يليق بالدنيا والمقصود انما هو الباطن والقلب وعمارة ذلك ونحن إنما نحكم بالظاهر وا أعلم بالسرائر .

وفي يوم الأربعاء سادس جمادي الآخرة حضر مدرس النجيبية بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز العجمي الحلبي عوضا عن الشيخ ضياء الدين الطوسي توفي وحضر عنده ابن صصرى وجماعة من الفضلاء وفي هذه السنة صليت صلاة الرغائب في النصف بجامع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين ولما كانت ليلة النصف حضر الحاجب ركن الدين بيبرس العلائي ومنع الناس من الوصول إلى الجامع ليلتئذ وغلقت أبوابه فبات كثير من الناس في الطرقات وحصل للناس أذى كثير وإنما أراد صيانة الجامع من اللغو والرفث والتخليط وفي سابع عشر رمضان حكم القاضي تقي الدين الحنبلي بحقن دم محمد الباجريقي وأثبت عنده محضرا